العرب
الثلاثاء 2020/03/31
السنة 42 العدد 11663

في البدء كانت الكلمة.. والآن جاء دور الصورة

الفضاءات الافتراضية ألغت المسافات بين البشر لكنها أهدتهم جزرا وعزلات

إنها لمفارقة أن تلغي وسائل التواصل الحديثة المسافات الواقعية بين البشر وتوفر لهم فرصة الحديث مع أكثر من شخص في لحظة واحدة وفي أمكنة مختلفة، لكنها رسخت العزلة وزادتها قسوة. حيث أفرغت الفرد من أهم ما يملك ألا وهو "اللغة".

مفيد نجم
كاتب سوري

لم يكن أحد يتخيل أن اللغة هذا الاختراع الإنساني العظيم سوف يتراجع حضوره أمام التحدي الكبير الذي أصبحت تشكله الإنترنت والعصر الرقمي وتقنيات الاتصال والتواصل العجيبة.

فجأة قفزت الصورة على شاشات وسائل الميديا والأجهزة النقالة والكمبيوتر لتحتل المشهد وتخطف الأبصار والعقول معها.

تراجعت اللغة ليتقدم الخصم الجديد بأسلحته وعتاده المتنامي في سطوة حضوره وإغراءاته. صار الإنسان يتكلم قليلا ويتحدث كثيرا بالصورة كأن يرسل صورة قلب بدل التعبير عن مشاعر الحب أو وردة أو أي علامة أيقونية أخرى يختزل بها الكثير من اللغة التي كان يقولها في ما مضى. لم يكن ذلك اختياره بل هو إكراه من حيث لا يدري لأن طبيعة هذه الأجهزة لا تحتمل تلك اللغة وكذلك إيقاع الحياة وخيالها الذي فرضته معها.

> هل يمكن أن نكون واقعيين في الفضاء الافتراضي وهل تقدر اللغة الجديدة على تمثل الصورة الحقيقية للواقع

لم يكن تزايد عزلة الإنسان هو النتيجة الوحيد لهذه المتغيرات الكبيرة التي فرضها هذا العصر علينا، بل تراجع دور اللغة لأن ثمة لغة أخرى متقشفة ودالة يمكن أن تعوض عن غياب المشاركة. يمكن أن تشارك أي إنسان مأساته أو فرحه أو أي مناسبة أخرى بكلمات قليلة بالضغط على أزرار جهاز الكمبيوتر أو الهاتف النقال وإرسالها لمن تشاء على بعد الآلاف من الأميال.

سقطت المسافة في هذه الفضاءات لكنها خلقت الحواجز الكثيرة في العالم الواقعي. هذه المفارقة العجيبة بين الفضائين لم تكن من اختيارنا وإنما وجدنا أنفسنا نعيشها في انسياقنا الغريب وراء إغراءات هذه المنجزات التقنية العجيبة، التي جعلتنا نعيش في الواقع الافتراضي أكثر من ما نعيش في العالم الواقعي.

أصبح الإنسان في هذا العصر قادرا على الحصول على ما يشاء من مشتريات وهو جالس في البيت دون أن يكلف نفسه عناء الخروج منه للتسوق. وصار قادرا على التواصل مع من يشاء دون أن يضطر إلى الذهاب إليه. هذه السلطة التي أصبحت تمارسها هذه الأجهزة على الإنسان تجاوزت كل هذا إلى الحالات التي يلتقي فيها الناس أو حتى داخل فضاء البيت. كل شخص تجده مشدودا إلى شاشة جواله أو حاسوبه وهو يتابع ما يشاء من مواقع فنية وإعلانية أو دعائية أو سياسية أو مواقع تواصل اجتماعي. لذلك أصبح الفضاء الافتراضي يستولي حتى على الفضاء الواقعي ويهيمن عليه، وأصبحت علاقتنا مع العالم الواقعي تبنى وتتحدد في ضوء علاقتنا بالواقع الافتراضي وتأثيراته علينا من خلال ما يضخه من صور ومعلومات وأخبار دون توقف على مدار الساعة.

والسؤال الذي يفرضه هذا الواقع الجديد حول مدى قدرتنا على أن نكون واقعيين ومدى قدرة اللغة الجديدة على تمثل الصورة الحقيقية للواقع والحياة. وسائل كثيرة أصبح يمتلكها الإنسان من خلال هذه الصور حتى أصبحت قدرة الإنسان على التضليل والاختراع والتلاعب بالصورة والحقائق أمرا متاحا تيسره له هذه التقنيات الحديثة.

اللغة المنطوقة أو المكتوبة لم تكن بريئة من التزوير والتضليل، على خلاف ما يحدث التلاعب بالعالم الافتراضي.

الإنسان الوحيد في الفضاء الافتراضي (لوحة للفنان ياسر أبوالحرم)

مشكلة اللغة هنا وهناك كانت وستبقى في طبيعة توظيفها من قبل الإنسان. الحروب الكبرى التي حصدت أرواح الملايين والأنظمة الشمولية التي مارست أبشع أنوع القمع والاضطهاد لشعوبها كانت تستخدم اللغة قناعا ووسيلة لتضليل الناس وخداعهم وتهييج مشاعرهم تحت شعارات مزعومة ومقولات خادعة. خطورة اللغة الجديدة في العالم الافتراضي تكمن في حجم انتشارها من خلال سعة وسرعة انتشارها في عصر الإنترنت والواي فاي وما يمكن أن يتم اختراعه من وسائل مذهلة جديدة.

الكاتبة وأستاذة الفلسفة الفرنسية، إلزا غودار، تختصر هذه التحولات بالقول إن العالم لم يعد قابلا لأن يحكى بل صار يريد فقط أن يرى لذلك حلت الرؤية محل الفكر. لقد أصبحت الصورة هي اللغة التي تطغى على المشهد العام، وهو ما حاول أن يجسده جان لوك غودار في فيلمه الشهير "وداعا أيتها اللغة". في هذا الفيلم البسيط من حيث موضوعه ثمة قصة حب تنشأ بين رجل وامرأة لكن هذه العلاقة تنتهي بالخصام والضرب، بينما يظهر الكلب ضائعا في الطريق. يلتقي الرجل والمرأة مرة أخرى ومعهما الكلب وتبدأ قصة حب عجيبة.

في الجزء الثاني من الفيلم ستختلف الصورة لأن الكاميرا ستحتل مساحة الشاشة وسيكتفي الفيلم بصوت نباح كلب وصرخات رضيع تتعالى تاركا للصورة أن تخلق إيحاءاتها التي تنوب عن الكلام في سرد ما حدث.

قديما كان يمكن لشخص أو مجموعة أشخاص أن يتحدثوا إليك أو تتحدث إليهم، لكن في عصر الفضاء الافتراضي صار يمكنك أن تتحدث مع أشخاص أكثر وأن يتحدثوا إليك في آن معا على الرغم من بعد المسافات واختلاف اللغات. هذا الإنجاز المذهل عبر الشاشة الصغيرة للكمبيوتر والهاتف النقال ألغى المسافات لكنه في الآن نفسه زاد من عزلة البشر وفرض قواعد جديدة في العلاقة.

أصبح الإنسان قادرا على إخفاء ما يريد وإظهار ما يريد. كذلك أصبح قادرا على أن يحلق بعيدا في هذا الفضاء الافتراضي لكن من خلال جهاز بارد وصورة غالبا ما نحدد ما يجب أن تكون عليه. لقد اختفت العفوية والحرارة والانفعال من هذه اللغة، وأصبح الإنسان ضائعا بين سيل من الصور المتدفقة والمعلومات والرسائل والتي تقول كل شيء دون أن تلمس قلب الإنسان الوحيد والموحش.

أندريه شديد.. أدبها جسر بين نهرين عظيمين

باريس – بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد الشاعرة والأديبة أندريه شديد، التي ولدت في العشرين من شهر مارس 1920. خصص مركز أندريه، الواقع في الضاحية الباريسية، أسبوعا تكريميا لهذه الأديبة الفرانكوفونية العربية الأصل.

وفي هذا الإطار قدّمت الشاعرة والإعلامية الجزائرية المقيمة في باريس، لويزة ناظور أخيرا محاضرة تحت عنوان "أندريه شديد في العالم العربي"، حيث تطرقت إلى مسيرة شديد التي استمرت خمسين عاما ألفت خلالها مجموعة أدبية غنية ومتنوعة مستوحاة في جزء كبير منها من الشرق الذي ولدت فيه، لتروي في جل أعمالها الروائية مآسي فردية وجماعية في أسلوب شاعري أنيق. ومن هذه الروايات نذكر "الرماد المعتق" و"المدينة الخصبة"، و"المنزل من دون جذور" و"اليوم السادس".

وذكرت لويزة الناشطة في المشهد الثقافي الفرنسي والعربي، أن المصريين لم يعرفوا أندريه شديد (1920 – 2011)، إلا بعد أن قرر المخرج الراحل يوسف شاهين تقديم رواياتها "اليوم السادس" في فيلم سينمائي حمل الاسم نفسه، لعبت بطولته الفنانة داليدا مع محسن محيي الدين. وأشارت إلى أن قصائد وروايات أندريه شديد مكتوبة باللغة الفرنسية غير أنه يطغى عليها مزيج يظهر عمق الهوية الشرقية.

وأضافت "رغم وصولها إلى العالمية إلا أن قلمها ظل يسيل حبرا ينبض به قلب الوطن العربي. فأندريه القاهرية المولد من أب لبناني وأم سورية،

باريس تحتفي بالشاعرة والأديبة أندريه شديد

> قصائد وروايات أندريه شديد مكتوبة باللغة الفرنسية غير أنه يطغى عليها مزيج يظهر عمق الهوية الشرقية

الفرنسية اللغة، اتضحت في مؤلفاتها النفحات الإنسانية والمستوحاة في جزء منها من انتمائها الشرقي والفرنسي المشترك. فمنذ أن هاجرت أندريه شرقها الذي ظل يلازمها تمكنت بفضل غنى مشاربها الثقافية أن تكون مثالا للمواطنة العالمية التي لا تعرف حدودا في الجغرافيا ولا بين الأجناس الأدبية التي كتبت فيها كلها.

وذكّرت ناظور بما قالته أندريه لأحدى المجلات "المصور" "لا أعاني من تمزق في المنفى أو من صعوبات التكيف. أشعر أنني أعثر على ذاتي في التعددية الثقافية. إن مناخي المفضل هو التناغم بين الشرق والغرب".

ونبهت المحاضرة إلى الروح الشعرية التي لم تفارق أبدا كتابات الأديبة وعوالمها الأدبية، فرغم أن أندريه تفرغت لاحقا للرواية والمسرح بعدما نشرت عشرات الدواوين الشعرية ابتداء من «نصوص من أجل صورة»، عام 1948، ثم «نصوص من أجل قصيدة» 1950، وصولا إلى «بطانة الكون» عام 2010.

لكنّها لم تبتعد كثيرا عن كتابة القصيدة حيث بقيت بشعرها بالغ الخصوبة تطوع الكلمات لتبحث عن "الأشياء الخفية التي تغلي في عمق كل منا" كما تقول أندريه "إن العالم الهائج السري الذي نحمله في داخلنا يفتش عن نوافذ يطل منها نحو الخارج. الشعر هو إحدى هذه النوافذ". فبهذه الروح الشاعرية العميقة تكتب أندريه شديد الشعر، الذي تعتبره جوهر وجودها الإنساني.

وقد استمتع الجمهور في الجزء الأخير من الأمسية الباريسية بمختارات من قصائد أندريه شديد باللغتين العربية والفرنسية، بأداء لويزة ناظور التي ترجمت القصائد إلى العربية، وذلك على إيقاع العزف على القانون بأداء هند زواري الملقبة في فرنسا بأميرة القانون. فأطرب الثنائي الحضور بالعزف العذب والبوح الجميل.

وكان مسك الختام أغاني أطربت بها هند زواري الحضور حيث فاجأت الحضور بتلحينها لإحدى قصائد أندريه شديد وبغنائها على إيقاع القانون، وهذا ما أضفى بعدا شرقيا لقصيدة ملقاة بالفرنسية تتخللها مقاطع مترجمة إلى عربية. وقوبلت هذه الأمسية المخصصة للأديبة الراحلة، بإعجاب وتفاعل الجمهور الفرنسي الذي ارتقى بذائقته الشعرية إلى المستوى الذي تليق بالذكرى لهذه الأديبة الفرانكوفونية العربية التي تمتد ذكراها من ضفاف السين إلى ضفاف النيل.

وفي الختام، وجّه إتيان أورسيني، رئيس مركز أندريه شديد، كلمة شكر للشاعرة والصحافية لويزة ناظور وإلى أميرة القانون هند الزواري على إحياء هذه الأمسية التي كما قال "كانت ستليق بأندريه شديد لو كانت بيننا على قيد الحياة وإن هذا خير تكريم قد يقدم إلى هذه الشاعرة والأديبة التي اختصرت الشرق والغرب بشخصيتها العميقة وأدبها الذي ارتقى بها إلى العالمية". كما شكر الجمهور الذي جاء بكثرة رغم حالات التخوف التي تعيشها فرنسا بسبب خطر فايروس كورونا.

تتويج حامل بيرق «شاعر المليون»

أبوظبي – تنطلق مساء الثلاثاء، الأمسية الختامية من برنامج "شاعر المليون" في موسمه التاسع، والذي تنظمه لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية بأبوظبي، في إطار استراتيجيتها الثقافية الهادفة إلى صون التراث وتعزيز الاهتمام بالأدب والشعر العربي، وتبث الحلقة عبر قناتي الإمارات وبينونة في تمام الساعة العاشرة مساء بتوقيت أبوظبي من مسرح شاطئ الراحة دون حضور الجمهور.

وستشهد الأمسية تتويج حامل بيرق ولقب شاعر المليون، وترتيب الفائزين من الأول إلى السادس، بحضور أعضاء لجنة التحكيم المؤلفة من الأستاذ سلطان العميمي، والدكتور غسان الحسن، والشاعر حمد السعيد، حيث يتم في ختام الأمسية جمع درجات لجنة التحكيم من 60 في المئة،

> الأمسية الأخيرة من البرنامج ستشهد تتويج حامل بيرق ولقب شاعر المليون، وترتيب الفائزين من الأول إلى السادس

بالإضافة إلى نسبة تصويت الجمهور عبر الموقع الإلكتروني والتطبيق الخاص بالبرنامج (40 في المئة)، ليتم ترتيب الفائزين بالمسابقة من المركز الأول إلى السادس.

وكانت لجنة تحكيم البرنامج قد منحت خلال الحلقة الماضية درجات من 60 في المئة للشعراء الستة الذين قدموا قصائد متميزة وذات مستوى شعري عال، حيث جاءت درجات نجوم الشعر على النحو التالي: 59 من 60 لمحمد الحمادي العتيبي، ونتيجة 58 من 60 لكل من محمد البندر المطيري ومطرب بن دحيم العتيبي، ونتيجة 57 من 60 لكل من عبدالمجيد سعود الغيداني ومبارك بالعود العامري وأحمد بن عايد البلوي.

ويحظى الفائز بالمركز الأول بلقب "شاعر المليون" و"بيرق الشعر" وجائزة مادية بقيمة 5 ملايين درهم إماراتي، فيما يحصل صاحب المركز الثاني على 4 ملايين درهم، والثالث على 3 ملايين درهم، والرابع على مليوني درهم، والخامس على مليون درهم إماراتي، والسادس على 600 ألف درهم، وينال الشعراء الستة هذه المراكز بعد رحلة طويلة من التنافس شارك في حلقاتها المباشرة 48 شاعرا على مدى 16 حلقة.